إن تكن مفروشة بالعوسج[569] فهي أيضاً ممهودة، أو يكتنفها الخطر فهي ألين مواطئ وأكثر تعبيداً، أو تحفّها المصارع فهي أوسع مدارج، وأرحب فجاجاً، وأفسح حدوداً. وبقدر ما كانت الأرضة تعبث في صحيفة القطيعة، طوال سنين ثلاث على ونىً وهون، لتميط[570] للعالم اللثام عن سرّها الذي خالف المنتظر وحيّر الأفهام، بقدر ما راحت الوقائع بعد انكشاف السرّ تعبث بتعاقب الليل والنهار عبث إعصار أخرق[571]، يطيح بكلّ ما يعترض سبيله من معالم الحياة. فكما تذرو الأعاصير[572] القشّ، تقتلع الإنسان من قدميه اقتلاعها الشجر والنخيل من الجذور، وكما تطير بالهشيم، وأعواد الحطب، وكثبان الرمل، تطير بالدور والرجام[573] الثقال، بل هي تحِتّ[574] تربة الأرض وصخر الجبال. إنّها لا تدع قائماً إلاّ َ مال، ولا مائلاً إلاّ َ رقد، ولا راقداً إلاّ َ تبدّد لولا علائم دارسة كبقايا الوشم[575] على ظاهر اليد، أو كأثر القدم فوق صفوان[576] صلد عليه قسمة من غبار. هكذا كانت الأحداث تهطع[577] على رقعة الوقت; كالعاديات[578]، نبضها[579] سريع،